المطلب الثاني: ادوات البحث العلمي

إن التفكير في إنجاز البحث العلمي يستدعي أولا التفكير في الأدوات التي يتعين على الباحث الالتزام بها في إنجازه لبحثه، وتتعدد الأدوات حسب طبيعة الموضوع، إذ تمكنه من جمع البيانات والمعلومات، التي تساعده على الدراسة الدقيقة للموضوع، وكذا الاحاطة به من كل جوانبه. ومن بين هذه الأدوات نجد العينة، المقابلة، الملاحظة ثم الاستمارة الاستبيانية.

الفقرة الأولى: العينة

إن الحديث عن العينة يستدعي أولا تحديد مفهوم مجتمع البحث (مجتمع الدراسة الأصلي)، من أجل الوقوف على أهميتها ودورها في إنجاز البحث العلمي.

أولا: تعريف مجتمع البحث

يقصد بمجتمع البحث هو مجموعة عناصر خاصة أو عدة خصائص مشتركة تميزها عن غيرها من العناصر الأخرى التي يجري عليها البحث أو التقصي.

ـ مجتمع البحث هو مجموعة منتهية أو غير منتهية من العناصر المحددة مسبقا، التي ترتكز عليها الملاحظات. ويمكن أن نستدل على ذلك بمثال:

ـ طلبة الكلية المتعددة التخصصات بالرشيدية هم مجموع الأشخاص أو الأفراد الذين في هذه الكلية.

ـ سكان المغرب هم مجموع الأشخاص والأفراد المقيمين بالمغرب.

ـ إن اعتمادنا على مجتمع البحث معناه تحديد المقياس الذي يجمع بين الأفراد والأشياء، ويميزهم عن غيرهم من الأفراد أو الأشياء الأخرى. فالدراسة في الكلية المتعددة التخصصات بالرشدية مقياس يشمل كل الأشخاص الذين يدرسون بالكلية.

والاقامة في المغرب هي مقياس يشمل كل الأشخاص الذين يعيشون في المغرب من نفس المجموعة السكانية، الذي يميزهم عن تلك المجموعة التي لا تعيش في المغرب.

ثانيا: تحديد مجتمع البحث

إن اختيار مجتمع البحث يستدعي تحديد مجتمع البحث الذي نريد فحصه، وأن نحدد المقاييس المستعملة من أجل حصر مجتمع البحث:

- هل الدراسة تشمل كل مستويات التعليم (ابتدائي، إعدادي، ثانوي ، جامعي)؟

- هل الأمر يتعلق بأساتذة الكلية بمختلف الشعب، أم أن الأمر يقتصر على شعبة واحدة؟

- هل الدراسة تقتصر على تخصص معين، مثلا الأساتذة الذين يدرسون شعبة القانون؟

وبهذا يتم تحديد مجتمع البحث، الذي سيكون محل الدراسة: أساتذة شعبة القانون بالكلية المتعددة التخصصات، في التعليم العام، شعبة القانون.

ثالثا: مفهوم العينة

العينة هي عبارة عن مجموعة جزئية من مجتمع الدراسة، يتم اختيارها وإجراء الدراسة عليها، ومن ثم استخدام النتائج المتوصل اليها في هذا الاطار وتعميمها على كامل مجتمع الدراسة الأصلي.

إذن العينة هي مجموعة فرعية من عناصر مجتمع بحث معين، أي ذلك الجزء من مجتمع البحث، الذي يرتكز حوله البحث.هذه العملية تسمح بانتقاء مجموعة فرعية من مجتمع البحث بهدف تكوين عينة.

رابعا: انواع العينات

يوجد اسلوبان لاختيار العينة هما: اسلوب العينة العشوائية او الاحتمالية اسلوب العينة غير العشوائية.

العينة العشوائية او الاحتمالية هي تلك التي تعتمد على نظرية الاحتمالية، وهي النظرية التي تسمح بحساب الممكن، أي احتمال وقوع الحدث، وتكون المعاينة احتمالية عندما يكون لكل عنصر من مجتمع البحث الأصلي حظ محدد ومعروف مسبقا ليكون من بين العناصر المكونة للعينة، غير أنه يجب أن تكون لدينا قائمة تشكل كل عناصر مجتمع البحث المراد دراسته. هذه القائمة تطلق عليها اسم قاعدة مجتمع البحث، ومن خلال هذه القائمة سيتم سحب العينة.

اما في اسلوب العينة غير العشوائية فيمكن استخدامه في حالة عدم معرفة جميع افراد المجتمع الاصلي وبالتالي تكون العينة غير ممثلة للمجتمع بشكل دقيق ولا تنطبق نتائج الدراسة على كل افراد المجتمع.

الفقرة الثانية: المقابلة

وهي وسيلة لاستطلاع الرأي وجمع المعلومات عن طريق سؤال جواب، مما يتيح التعبير المباشر بين مرسل ومستقبل في إطار علاقة حوار، وقد أصبحت المقابلة خصوصا منذ النصف الثاني من القرن العشرين تشكل أداة فعالة في استطلاع الرأي العام، ووسيلة استقصاء سوسيولوجية مخصصة لاستقبال معلومات حول موضوع ما من فئات اجتماعية مختلفة. وتعد هذه الأداة وسيلة ناجعة لجمع المعلومات بطريقة شفوية، حيث الميل هنا يكون من طرف كثير من الناس في تقديم المعلومة وبتلقائية أكثر، من تقديمها بشكل كتابي، وتتبع هذه الأداة خاصة مع أناس لا يتقنون الكتابة، وكذا الأطفال.

يتعين على الباحث أن يكون في استعماله لطريقة المقابلة ذكيا ومرحا، حتى يتقبله الناس ويساعدونه على جمع المعلومات المرغوب فيها. وترتكز المقابلة على مجموعة من المبادئ من بينها:

- تحديد الأشخاص الذين ستجرى معهم المقابلة.
- إعداد الأسئلة الموجهة للمبحوث.
- اختيار موعد المقابلة مناسب لوقت المبحوث.

ـ شرح الغاية من المقابلة والتعريف بشخص الباحث.

أضف إلى هذه المبادئ يجب على الباحث أن يتصف بمجموعة من الصفات، تمكنه من جمع أكبر قدر من المعلومات حول الموضوع، تتمثل في:

ـ عدم التعالي على المبحوث، بمعنى أن تكون له القدرة على التواصل معه.

ـ ترك المجال للمبحوث لإبداء رأيه، وعدم مقاطعته، بمعنى جعل المبحوث يشعر بنوع من الارتياح.

ـ عدم معارضته له، وتهييئ الجو المناسب لاستجوابه.

ـ أنواع المقابلة

تتعدد وتختلف المقابلة بحسب الطريقة التي تجرى بها، فقد تكون فردية أو جماعية. ففي حالة المقابلة الفردية يكون هناك سؤال جواب ما بين الباحث والمبحوث حول موضوع البحث. أما في حالة المقابلة الجماعية فيتم فتح النقاش حول نقطة من نقاط الموضوع، وترك الحوار والنقاش يتم ما بين أفراد المجموعة دون توجيه أو تدخل من الباحث، حتى يندمج أفراد المجموعة فيما بينهم، مما يمكن الباحث من جمع أكبر قدر من المعلومات والبيانات.

كما تنقسم المقابلة إلى رسمية وغير رسمية، فالرسمية هي تلك التي يعتمد من خلالها الباحث أسئلة محددة. أما غير الرسمية فهي مقابلة مرنة، مفتوحة، إذ من الممكن أن تكون بدون تحديد بموعد زمني لها، وهذا النوع من المقابلة يلزم الباحث بأن يكون تابع لوقت فراغ المبحوث.

كما نجد نوعا آخر من المقابلة، ويتوزع إلى مقابلة حرة أو غير موجهة، ومقابلة موجهة. فالمقابلة الحرة هي التي يترك للمبحوث الحرية في الجواب عن السؤال بطريقته دون توجيه من الباحث، بحيث يشعر الباحث بدون أي إكراه يمارس عليه من طرف الباحث.

أما المقابلة الموجهة هي التي تعتمد على نظام الأسئلة المفتوحة، وهذا النوع خاضع لتوجيه الباحث بهدف الحصول على أجوبة دقيقة ومركزة. لكن هذا النوع يستدعي اطلاع

ودراية واسعة بمجال البحث بما يكفل الوضع الدقيق للأسئلة، من حيث المضمون والتناسق على مستوى السياق.

الفقرة الثالثة: الملاحظة

يقصد بالملاحظة تلك المشاهدة الدقيقة للظاهرة الاجتماعية مع الاستعانة بأساليب البحث، والدراسة التي تتلاءم مع الظاهرة المدروسة.

وتنقسم الملاحظة إلى صنفين:

أولا ـ الملاحظة البسيطة

هي الملاحظة العادية، التي يقوم بها الانسان العادي للظواهر التي يصادفها، وهي ملاحظة عفوية وغير مفكر فيها، وتعتمد على الحواس والتجربة بلغة بسيطة، إضافة إلى ترك الموضوع خاما في الطبيعة.

ثانيا ـ الملاحظة العلمية

يقصد بها الملاحظة التي تكون منظمة وهادفة، يتبع فيها الباحث مجموعة من الإجراءات والخطوات، التي تمكنه من دراسة الظاهرة دراسة علمية. فالملاحظة العلمية حسب فرانسيس بيكون هي أداة من أدوات تجميع المواد، أي المواد الخاصة بظاهرة معينة.

فالتجريب العلمي هو إعداد خطة مسبقة (النظرية) يعبر عنها بلغة هندسية في مكان غير الطبيعة (المختبر).

ومن هنا تتميز الملاحظة العادية عن الملاحظة العلمية، في كون الأولى يكون الموضوع خام، التعبير الإنشائي والرواية الحسية. بينما الملاحظة العلمية تتم في المختبر، وتعتمد لغة الرياضيات، لها خطوات وإجراءات محددة.

ومن شروط الملاحظة العلمية التي يتم اعتمادها من طرف الباحث، التي تضفي على البحث الصفة العلمية، لا بد من توفر الشروط التالية:

ـ الانضباط والتنظيم، أي وجود اشكالية تطرحها الظاهرة، وتتطلب الإجابة عنها وضع فروض علمية بغية التحقق من صحتها. وهذه الفروض تبقى مقصودة وموجهة من طرف الباحث على أساس الترابط والترتيب المنطقي للمعلومات.

ـ الموضوعية الواجب توفرها في الباحث، من خلال ترك مسافة بينه وبين الموضوع المدروس، أي تجنب الذاتية، ودراسة الظاهرة دراسة موضوعية.

ـ يجب أن يكون اختيار الموضوع بشكل دقيق، واختيار المفاهيم المناسبة لمعالجة الموضوع.

ـ كما يجب أن يكون الباحث سليما على المستوى العقلي والنفسي حتى يتمكن من التركيز على موضوع البحث.

ـ العمل على تدوين كل ما يتم ملاحظته، ولا يقتصر على اعتماد الذاكرة، لأن الذاكرة قد يعتريها النسيان، مما يؤدي إلى الوقوع في الأخطاء.

ـ امتلاك رصيد معرفي مهم، يمكن الباحث من التمكن من الموضوع المدروس، والإحاطة به من كل جوانبه.

ثالثا: أنواع الملاحظة

تتفرع الملاحظة إلى أنواع من بينها:

ـ بسيطة: وهي التي تتم من طرف عامة الناس حول ظاهرة معينة، بوصفها لها خصائصها المميزة لها.

ـ علمية: يتم اعتمادها من طرف ذوي الاختصاص، بناء على قوانين معينة، ومضبوطة ودقيقة، لها خطوات وإجراءات محددة، تروم بالأساس تفسير الظاهرة تفسيرا علميا.

ـ بدون مشاركة: يقتصر الباحث على الملاحظة دون إبداء الرأي، ودون أن يشارك في اتخاذ القرار، بل يكتفي بملاحظة كيفية سير الظاهرة. مثلا حضور الباحث أطوار سير الجلسات البرلمانية، حضور الباحث عملية الانتخابات، حيث يكتفي الباحث بتدوين ما يلاحظه.

ـ بالمشاركة: يعتبر الباحث جزء من الموضوع، بحيث يشارك في صنع الظاهرة، فهو يشارك في مجتمع البحث. مثلا دراسة ظاهرة التسول، معايشة مجتمعات مختلفة دينيا أو ثقافيا، من أجل الفهم الدقيق للموضوع.

كل ما هنالك أن هناك مجموعة من الصعوبات تكتنف الملاحظة، سواء على مستوى الموضوع أو على مستوى الباحث نفسه.

الفقرة الرابعة: الاستمارة الاستبيانية

تعتبر أداة من أدوات البحث العلمي، بواسطتها يتم جمع المعلومات حول الظاهرة المدروسة، وهي مجموعة من الأسئلة تقدم للأفراد بهدف الاجابة عنها. والاستمارة هي وسيلة معقدة، بحيث يجب على الباحث أن يكون على علم بموضوع بحثه، حتى يتمكن من تحديد الأسئلة المراد الإجابة عنها، وتخضع لمجموعة من الشروط منها:

ـ التعريف بموضوع البحث.

ـ أن تكون الأسئلة واضحة وبسيطة وفي متناول المبحوث.

ـ أن تكون الأسئلة قصيرة.

ـ تجنب المفاهيم غير الواضحة.

ـ وضع نظام للأسئلة، حيث هناك أسئلة رئيسية وأخرى ثانوية.

ـ ارتباط الأسئلة بالمستوى الثقافي والعلمي للعينة المستجوبة.

وتنقسم الاستمارة إلى عدة أنواع، استمارة ذات أسئلة مفتوحة، وأخرى ذات أسئلة مغلقة، ثم استمارة ذات أسئلة مفتوحة ومغلقة. فالمفتوحة هي تلك الأسئلة التي تعطي تناسقا على مستوى الأجوبة داخل الاستمارة. وتكون متسلسلة ومتتابعة عكس الأسئلة المغلقة التي تكون محددة في الإجابة إما بنعم، أو لا. أما الأسئلة المفتوحة المغلقة فهي ذات شقين، أسئلة مغلقة متبوعة بأسئلة مفتوحة، من اجل التوضيح.

أما من حيث التواصل يمكن الحديث عن نوعين من الاستمارة:

ـ الاستمارة البريدية: التي تتم عن طريق ارسال الاستمارة إلى المستجوب عبر البريد، حيث يقوم المستجوب بملئها ومعاودة ارسالها عبر البريد، سواء البريد العادي أو البريد الاليكتروني.

ـ الاستمارة التي تسلم من المستجوب إلى المستجوب، أساسها التواصل المباشر، مما يضمن التأكد من توصل المستجوب بالاستمارة، والتأكيد عليه بضرورة التفاعل معها.